رَابِطَةُ ٱلعَالَمِ ٱلإِسْلَامِيِّ
الهَيْئَةُ ٱلعَالَمِيَّةُ لِتَحْفِيظِ ٱلقُرْآنِ ٱلكَرِيمِ
قِسْمُ ٱلبُحُوثِ وَٱلمَنَاهِجِ

تأملات في آية الكرسي

د. عبد الله بن علي بصفر

اعتنى بها وأعدها للطباعة
د. محمد مصطفى أحمد شعيب

ⓒ دار نور المكتبات، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بصفر، عبد الله بن علي
تأملات في آية الكرسي . / عبد الله بن علي بصفر – جدة،
١٤٢٧هـ
٨٢ ص ؛ ٢٤ سم
ردمك: ١-٠-٩٧٥٤-٩٩٦٠
١- القرآن – التفسير الحديث ٢- القرآن – سورة البقرة - تفسير.
أ. العنوان
ديوي ٢٢٧٦
رقم الإيداع: ١٤٢٧/١٤٤٨

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فهذه الرسالة في معاني وتفسير وظلال آية الكرسي، كنت ألقيتها على عدة خطب بجامع منصور الشعيبي بجدة، ثم رأيت أن أجمعها في رسالة ليعم نفعها، وسرت فيها على السير الذي سرته في تأملاتي في سورة الفاتحة، وفواتح البقرة، وتعمَّقتُ وتأملت في بعض كلمات هذه الآية، ولو تعمقت وتأملت في كل كلمة من كلماتها، لكان فيها عجائب أخرى، ولبيَّنتُ أسراراً عظيمة في هذه الآية الكريمة، فقد جعل الله ﷻ في هذه الآية - والتي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى- من الفضائل الشيءَ الكثيرَ والكبيرَ، فقد اشتملت على معاني عظيمة، وأسرار كريمة، إذا عُرِفَ بعضُها تَمَسَّكَ بها المسلمُ أكثرَ وأكثرَ، وحافظَ عليها، لعلها تكونُ خاتمته في كل ليلة، وخاتمته في نهاية العمر، وما كان للشرع أن يُوجِبَ لمن قرأها بعد الصلاة، ثم لقي وجه ربه بدخول الجنة، لولا عَظِيم فضلها وبركتها.

ولعل هذه الرسالة تشوق أحبابها للتعلق بها، وتعليمها للأهل والأبناء لتكون ديدنهم في الليل والنهار، فيحفظهم الله بها في الدنيا والآخرة، وإن وَفَّقَ الله تبارك وتعالى، فسأحاولُ الاستمرارَ على هذه التأملات في مختارات من كتاب الله تعالى، لعلَّ الله ﷻ أن ينفعني بها في الدنيا، وأن يتقبلها مني يوم العرض عليه،

وأسأل الله ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وطلباً لعفوه العميم، ونيلاً لأجره الكريم، وأسأله أن يذكرني بهذه السورة بعد آخر كل صلاة أصليها لله رب العالمين على وجه هذه الأرض.

آمين، آمين، آمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه/ د. عبد الله بن علي بصفر



فضل آية الكرسي

روى مسلم في صحيحه عن أُبَيِّ بن كعبٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**يا أبا المنذر**) وهي كنية أُبَيٍّ ﷺ، أقرأ الصحابة لكلام الله تبارك وتعالى، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: (أَقْرؤُنا أُبيٌّ، وأقضانا عليٌّ...)[1]؛ فقال له عليه الصلاة والسلام: (**يا أبا المنذر! أتدري أَيَّ آيةٍ من كتاب الله ﷻ معك أعظم؟**) قلت: الله ورسوله أعلم. فقال عليه الصلاة والسلام: (**يا أبا المنذر! أتدري أي آيةٍ من كتاب الله ﷻ معك أعظم ؟**) فقال رضي الله عنه وأرضاه: آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[2]

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨١)، وانظر «صحيح البخاري» كتاب فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ، فقد أورد أحاديث أخرى في فضائل أُبي ﷺ.

(٢) سورة البقرة: آية [٢٥٥].

فقال ﷺ وضرب على صدره بيده: (**لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر**)[1].

فالعلم بأعظم آيةٍ في كتاب الله ﷻ فضيلة، ويهنئ الرسول ﷺ هذا الصحابي الجليل بمعرفة أفضل آية في كتاب الله، ويصفه بالعلم بمعرفتها.

وفي روايةٍ لهذا الحديث: (**والذي نفسي بيده إن لها** - أي لهذه الآية - **لساناً وشفتين، تُقَدِّسُ المَلِكَ** - سبحانه وتعالى - **عند ساق العرش**) [2].

وروى الحاكم بإسنادٍ حسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**سورة البقرة فيها آيةٌ سَيِّدة آي القرآن، لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه؛ آية الكرسي**)[3] إذاً هي آية عظيمة، هي أعظم آيةٍ في كتاب الله، ولا شك أنها تستحق منا الاهتمام والعناية والفهم، حتى ندرك السر في اختيارها أعظم آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى.

ولذلك نرى أحاديث النبي ﷺ جاءت لتوجه المسلم ليختم صلاته، ويختم يومه، ويختم حياته بهذه الآية، فهي آية الختام والتختيم والتوديع، لما فيها من المعاني العظيمة والأسرار الكبيرة.

---

(١) رواه مسلم (٨١٠) في كتاب «صلاة المسافرين». ومعنى: (**لِيَهْنِكَ العلم**): ليكن العلم هنيئاً لك.

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٤٢،١٤١) (٢١٢٧٨) وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) رواه الحاكم (٢١٠٣) وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة، كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى)**[1] إذاً هذا أول تختيم؛ أن تختم بها صلاتك، وجزاؤك إن ختمت بها الصلاة، وحافظت عليها: أن يحفظك الله فتكون في ذمته وفي عهده، وفي رعايته وفي أمانه، فماذا فعلت ؟! وماذا قدمت ؟! قرأتَ آية الكرسي، وحافظتَ عليها، وتذكرتها ؟! فمحافظتك عليها بإذن الله ﷻ حفظ من الله لك.

وجاءت أحاديث أخرى توجِّهنا لنختم بها يومنا؛ فلا ننام إلا بهذه الآية العظيمة؛ لأن النوم هو الموتة الصُغرى، فإما أن يعود الإنسان بعدها إلى هذه الحياة، وإما أن ينتقل إلى رحمة ربه تبارك وتعالى؛ فالنوم موتة صغرى؛ فلذلك يقرأ المسلم هذه الآية الكريمة عند نومه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكَّلَني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ - المال مال المسلمين، وهذا يسرق من مال المسلمين - فقال: إني محتاجٌ، وعليَّ دين، ولي عيال، وبي حاجة شديدة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فرحمته فخليت سبيله، فلما أصبحت قال لي النبي ﷺ: **(يا أبا هريرةَ! ما فعل أسيرك البارحة؟!)** فقال: قلت يا رسول الله ! شكى حاجةً شديدة وعيالاً، فرحمتُه فخليتُ سبيله. فقال ﷺ: **(أما إنه قد كذبك وسيعود)** قال أبو هريرة: (فعلمت أنه سيعود لأن النبي ﷺ قال: **(إنه**

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٦٧٤) وقال المنذري في «الترغيب» (٢٣٧٤): «إسناده حسن».

سيعود). قال: فرصدتُهُ، فجاء يحثو من الطعام). - مرة ثانية - فحدَثَ كما حدث في المرة الأولى، فجاء يحثو في المرة الثالثة. قال: (فأخذته فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ). فقال: (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها) كلماتٌ تساوي الدنيا كلها عند الصحابة، (قال الراوي: وكانوا أحرص الناس على الخير). لو أنَّ إنساناً أخطأ في زماننا هذا في حق آخر وقال له: أعلمك كلمات ينفعك الله سبحانه وتعالى بها! لقال له الآخر: لا أريد منك كلاماً. نعم لا يريد كلاماً ولو كان قرآناً أو سنة !!، وإنما يريد مالاً، يريد شيئاً مادياً محسوساً، ما نقتنع إلا بالدنيا، ولكن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً كانوا يقنعون بذكر الله، لأنهم يعرفون قدره، ويعرفون أنه أعظم شيء في هذه الحياة، وأعظم شيء في الآخرة، وهو الذي عليه مدار هذه الحياة كلها - قال: (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها)، قال: ماهي؟ قال: (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ تختم بها يومك عند النوم: وهو الموتة الصغرى (فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح). لن يزال عليك من الله حافظ من الملائكة؛ مَلَكٌ يحفظك بأمر الله إذا قرأتها على نفسك أو على أبنائك أو على أهلك؛ فالله ﷻ يوكل بكل واحد ملَكاً يحفظهم، ولا يقربهم شيطان.

(لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح) قال: (فخليت سبيله)؛ لأن ما أخذه منه أبو هريرة يعتبر غنيمة كبيرة تساوي الملايين، ولكننا في هذا الزمان أصبح هذا العلم، وهذا الدين؛ ليس له هذه المكانة، ولذلك

أصبحنا نحن المسلمين أيضاً ليست لنا مكانة، لأننا ما عرفنا قدر كتاب ربنا، ولا سنة رسولنا ﷺ، ولا عظَّمنا شعائر الله، والقرآن من شعائر الله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [1].

وفي الصباح سأل النبي ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه: (**ما فعل أسيرك البارحة؟**) قال أبو هريرة رضي الله عنه: (قلت يا رسول الله ! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله) قال ﷺ: (**وما هي؟**) قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتى أختمها، ولن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح)، فقال النبي ﷺ: (**أما أنه صدقك وهو كذوب، أتدري يا أبا هريرة مع من تتكلم منذ ثلاثة ليال ؟**) فقال: (لا يا رسول الله). قال: (**ذلك الشيطان**)[2].

وقوله: (**صدقك وهو كذوبٌ**) تأكيد من رسول الله ﷺ، أن المسلم إذا قرأ هذه الآية عند نومه لا يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

إذاً: المسلم يقرأ هذه الآية على نفسه، وعلى أولاده، يحافظ عليها، لا يتركها أبداً، ولو دَرَّب المسلم نفسه على قراءتها لحافظ عليها.

---

(١) سورة الحج: آية [٣٢].

(٢) رواه البخاري (٢٣١١) في «الوكالة»، معلقاً بصيغة الجزم، وفي بدأ الخلق (٣٢٧٥)، وفي «فضائل القرآن» (٥٠١٠) وانظر: «الفتح» (٤/ ٥٦٨ – ٥٧١).

وأيضاً يختم المسلم بها حياته، فهذا هو السعيد، وهذا هو المُوَفَّق، وهذا هو الذي يفوز بالجنة إذا وُفِّقَ لأن يكون وداعه من هذه الحياة بعد أن يقرأ هذه الآية الكريمة العظيمة.

فعن أبي أُمَامَة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**)[1].

ليس بينه وبين الجنة حاجز ولا مانع ولا عائق إلا الموت، فإذا حدث الموت دخل الجنة ببركة قراءة هذه الآية، ولكن من ذا الذي يُدركُها وهو لا يعلم متى يموت؟!، ومتى سيلقي الله تبارك وتعالى؟!، قد يقرأها في صلاة، ويغفل عنها في صلاة؛ وتكون تلك الصلاة هي الأخيرة، لا يدري ؟! لكن من واظب عليها، وحافظ عليها، وتذكر هذا الحديث وهو عند كل صلاة يقرأها بعد الصلاة، وهو متيقنٌ في قلبه وفي نفسه أن لها هذا الأجر العظيم، وهذا الثواب الكبير، وأنه إذا قرأها وجاء أجل الله دخل الجنة بإذن الله سبحانه وتعالى. وهذا فيه تذكير للمؤمن كلَّ ما صلى صلاةً؛ هذه الصلاة التي امتدحها القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾[2]؛ بعد كل صلاة يؤديها؛ أن يقرأ هذه الآية الكريمة، فلعله يلقى وجه الله مستعداً متهيئاً بما علَّمهُ

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٤٨) والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» (٨٠٦٨)، وقال الإمام المنذري في «الترغيب» (٢٣٧٣): «وقال شيخنا أبو الحسن: هو على شرط البخاري».

(٢) سورة البقرة: الآيات [٤٥، ٤٦].

رسول الله ﷺ، ليس خائفاً، ولا وَجِلاً من لقاء رب العالمين، فإذا كان نصيبه أن يلقى وجه الله تبارك وتعالى بعد تلك الصلاة التي قرأ فيها آية الكرسي، لم يكن بينه وبين الجنة إلا أن يغرغر، وتخرج تلك الروح، ويدخل في جنات النعيم، وفي رحمة رب العالمين تبارك وتعالى.

هذه الآية العظيمة في تلك السورة العظيمة ؟ سورة البقرة، تحتاج منا إلى عناية وإلى محافظة، وإلى أن نَعضَّ عليها بالنواجذ، ونعلمها أبناءَنا وأهلنا، ونسألهم كل يوم، ونتابعهم كل يوم، فإن من فعل ذلك فقد ختم صلاته ويومه وحياته بما يرضي الله تبارك وتعالى، وكان عاقبة أمره إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، بإذن الله تبارك وتعالى.



فضل كلمة التوحيد

قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ونبدأ الحديث في هذه الآية، بالحديث عن كلمة التوحيد، التي ابتدأ الله بها تبارك وتعالى هذه الآية العظيمة، وابتدأها بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾، وقد بَيَّنَّا عند تفسيرنا لسورة الفاتحة؛ بيّنا معنى هذا الاسم العظيم، وذكرنا أن الراجح عند أهل العلم: أنه هو الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى، وبيَّنَّا ما جاء في معناه من أقوال أهل العلم جزاهم الله خير الجزاء[1].

ولأن هذه أفضل آيةٍ في القرآن ابتدأت بكلمة التوحيد، وابتدأت بلفظ الجلالة الذي هو من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى، ويرجى أن يكون الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هذه الكلمة هي كلمة التوحيد المباركة، التي لأجلها أرسل الله الرسل، ولأجلها أُنزِلتِ الكُتب، وشُرِعتِ الشرائع، وقُسِّمَ الناسُ لأجلها أيضاً إلى فريقين: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾[2].

كل ذلك بسبب هـذه الكلمة العظيمة، ومعناها باختصار شديد: لا معبـود

---

(١) انظر: «تأملات في سورة الفاتحة» صـ (١٧ – ٢٣)، ط (١) نور المكتبات.

(٢) سورة الشورى: آية [٧].

بحقٍ إلا الله، المعبودون من دون الله بالباطل كُثُر، ولكنهم معبودون بالباطل، وليسوا معبودين بالحق، والذي يعبد بالحق هو الله تبارك وتعالى وحده.

فهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا يستحق العبادة بحق إلا الله وحده. والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والخفية.

كلمة التوحيد (لا إله إلا الله): هذه الكلمة جاءت في القرآن العظيم، وأشار إليها القرآن إشارات عديدة، ومن تلك الإشارات: أنها الكلمة الطيبة؛ في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾[1] والشجرة الطيبة هي: النخلة، والكلمة الطيبة هي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وهي القول الثابت؛ في قوله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[2].

وهي الكلمة الباقية، قال ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم: آية [٢٤ - ٢٥].

(٢) سورة إبراهيم: آية [٢٧].

(٣) سورة الزخرف: آية [٢٨].

وهي المثل الأعلى، قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[1] فالمثل الأعلى هو: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)[2].

وهي كلمة العهد، كما قال ﷻ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾[3].

وهي الكلمة العليا، قال ﷻ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾[4] كما بين ذلك المفسرون.

وهناك غيرها من آيات الله تبارك وتعالى التي أشارت إلى عظم وجلال هذه الكلمة المباركة: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ).

وقد أثنى نبي الهدى ﷺ على قائلها، وعلى المكثر منها، وعلى المتقرب إلى الله والمتعبد لله بهذه الكلمة.

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قلت يا رسول الله ! من أسعد الناس بحسن شفاعتك يوم القيامة ؟ فقال ﷺ: **(لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن**

---

(١) سورة الروم: آية [٢٧].

(٢) قال الإمام الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٨): «ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو أنه لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء، فذلك المثل الأعلى، تعالى ربنا وتقدس».

(٣) سورة مريم: آية [٨٧].

(٤) سورة التوبة: آية [٤٠].

هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو من نفسه)[1].

إذا خرجت كلمة التوحيد من قلب المسلم، ومن نفسِ المسلم خالصةً لله، لا رياء فيها ولا سمعة، كانت سبباً في شفاعة النبي ﷺ لصاحبها يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾[2].

وهي الكلمة التي تُفتح لها أبواب السماء؛ عندما يقولها القائل يفتح الله لها أبواب السماء؛ ففي الحديث الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما قال عبد :لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، قَطُّ مخلصاً، إلا فُتِحَتْ له أبواب السماءِ حتى يفضِيَ إلى العرش، ما اجتُنِبَتْ الكبائر)**[3].

إنَّ هذه الكلمة المباركة ترتفع وترتفع، حتى تصل إلى ذلك المقام العلي العظيم الرفيع، ما اجتُنِبَتْ الكبائر، فإذا أردت أن تُفتَح لها أبواب السماء، ويستجاب لك معها الدعاء، فاجتنب الكبائر، وأخلص بهذه الكلمة من قلبك، تفتح لها أبواب السماء، ويستجاب لك معها الدعاء.

---

(١) رواه البخاري (٩٩).

(٢) سورة الشعراء: الآيات [٨٨ - ٨٩].

(٣) رواه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: «حديث حسن غريب».

وهي أول شعب الإيمان وأعلاها وأفضلها كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**الإيمان بضع وستون** - أو بضع وسبعون - **شعبة، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله**)[1].

وهذه الكلمة هي أفضل الذكر لله تبارك وتعالى، فعن جابرٍ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (**أفضل الذكر**: لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، **وأفضل الدعاء**: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)[2].

وهي من الباقيات الصالحات: (**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**) بل هي أفضل الباقيات الصالحات؛ لأنها أفضل الذكر كما قال ﷺ.

وبهذه الكلمة يتجدد الإيمان ويتجدد الإسلام، كلما ذكرت الكلمة الأولى التي هي باب الإسلام؛ لا يدخل أحدٌ الإسلام إلا من باب (لا إله إلا الله)؛ جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**جَدِّدوا إيمانكم**) قالوا: يا رسول الله ! وكيف نجدد إيماننا ؟ قال: (**أكثروا من قول: لا إله إلا الله**)[3].

إذاً الإكثار من قول لا إله إلا الله تجديد للإيمان، الذي نحن في أمس الحاجة إلى أن نجدده ونقويه، حتى نزداد إخلاصاً في عبادتنا، في صلاتنا، في صيامنا، في كل طاعةٍ نتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٣)، والحاكم (١/ ٤٩٨)، وقال: «صحيح الإسناد».

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٥٩) والطبراني. وقال المنذري في «الترغيب» (٢٢٦٠): «وإسناد أحمد حسن».

وبهذه الكلمة تغفر الذنوب؛ جاء في الحديث الحسن عن شداد بن أوسٍ ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: (**هل فيكم غريب؟**) - يعني: من أهل الكتاب - فقلنا: لا يا رسول الله. فأمر عليه الصلاة والسلام بغلق الباب، ثم قال: (**ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله**) فرفعنا أيدينا ساعةً، ثم قال: (**الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، إنك لا تخلف الميعاد**) ثم قال: (**أبشروا فإن الله قد غفر لكم**)[1].

فحري بالمسلم أن يتمسك بهذه الكلمة، وحري به أن يكررها، وأن يكثر منها، ومن ختم الله ﷻ له حياته بها دخل الجنة، كما قال النبي ﷺ: (**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة**)[2].

وهي في أول آية الكرسي، ولذلك من قرأها دبر الصلاة المكتوبة، وكانت آخر صلاة له دخل الجنة؛ لأنها متضمنة لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فمن نسي أن يقولها بعد الصلاة الأخيرة التي يلقى بها وجه ربه، وذكر (لا إله إلا الله) عند موته فإن الله تبارك وتعالى يكرمه بها.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٤)، وقال المنذري في «الترغيب» (٢٢٥٩): «إسناده حسن».

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦) في الجنائز، باب التلقين من حديث معاذ بن جبل ﷺ، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥١) وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الحاكم (١/ ٧٢) بلفظ آخر: (**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقاً من قلبه فيموتُ على ذلك إلا حُرِّمَ على النار: لا إله إلا الله**). وقال الحاكم: «صحيح على شرطهما».

وهي خَيرٌ من الدنيا وما عليها إن قالها المسلم مائة مرة؛ ففي الحديث عن أم هانئ رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال لها في حديث طويل: (**وهللي الله مائة تهليلة تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يُرفَعُ يومَئذٍ لأحد عملٌ أفضلُ مما يُرفَعُ لك إلا أن يأتيَ بمثل ما أتيت**)[1] وفي رواية: (**قولي: لا إله إلا الله مائة مرة، فهو خير لك من ما أطبقت عليه السماء والأرض**)[2] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فإذاً هذه الكلمة خيرٌ من الدنيا وما عليها، أفضل مما أطبقت عليه السماوات والأرض، إذاً هي أفضل من الدنيا وما عليها، كلمةٌ واحدةٌ أفضل من الدنيا وما فيها.

ولكن لهذه الكلمة مقتضياتٌ، فلا يقول المسلم: (لا إله إلا الله) ولا يعلم أن لها مقتضيات وفرائض وواجبات يجب عليه أن يقولها، وأن يفعلها، وأن يلتزم بها، لأن الإيمان تصديقٌ بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، لا تفريق بين الإيمان بالقلب والعمل بالجوارح، فلا يقول المؤمن: (لا إله إلا الله) إلا وهو مدركٌ أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن الفرائض واجبةٌ عليه فيؤديها لله، وأن هذا الشرع الذي شرعه الله تبارك وتعالى فيه خيرٌ له فيلتزم بتعاليمه مُخلصاً لله تبارك وتعالى.



(١) رواه أحمد (٦/ ٣٤٤) وقال المنذري في «الترغيب» (٢٢٩٧): «إسناده حسن».

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» وقال المنذري في «الترغيب» (٢٢٩٧): «إسناده حسن».

شهادة أن (لا إله إلا الله)

يتواصل الكلام عن شهادة أن (لا إله إلا الله)، وفيها تأكيد على التوحيد، وكلمة الشهادة بمعنى: العلم واليقين، فعندما يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، أي: أعلم علم اليقين أنه لا إله إلا الله؛ فلذلك كانت الشهادة مسئولية، ولذلك كانت سبباً في دخول الإسلام، ليتحمل العبد الذي يدخل في هذا الدين يتحمل المسئولية، ولأنها تقتضي مقتضيات، يجب على من قالها أن يلتزم بها.

فلذلك لم يقلها المشركون في مكة، رغم أنها مجرد كلمة؛ لو قالوها لدفعوا عن أنفسهم أموراً كثيرة، ولكنهم عرفوا أن هذه الشهادة، ومعها شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؛ معناها: العمل بالإسلام، معناها: المحافظة على الصلاة، وعلى فرائض الدين، وترك الكبائر والمحرمات، فيجب على المسلم أن يفهم ذلك، وأن يعرف أن هذه الكلمة لها مقتضياتها.

فلذلك كانت الشهادتان الركن الأول من أركان الإسلام كما في الحديث: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة)**[1].

---

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (٤٥) من حديث عبد الله بن عمر وغيره.

يقول الله تبارك وتعالى مُبيِّناً عِظَمَ هذه الشهادة، وفضلها، وأهميتها؛ وهي أعظم شهادة في القرآن:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ الله تبارك وتعالى يشهد بهذه الكلمة، ولذلك كانت هذه الشهادة أعظم شهادة:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[1].

وشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي شهادة أن محمداً رسول الله، لأن شهادة أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحقٍ إلا الله؛ وماهي العبادة ؟ وكيف نعرفها ؟ إنما نعرفها من رسول الله ﷺ، فلا عبادة مقبولة إلا ما جاء بها محمد ﷺ؛ فلا بد أيضاً من قول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

ذكر ابن كثيرٍ في تفسير قوله تعالى:﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾[2] ما رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (**لما فرغتُ مما أمرني به ربي من أمر السماوات والأرض** - يعني: في الإسراء والمعراج - **قلت: يا رب ! إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كَرَّمتَه** - جعلتَ له كرامة - **جعلتَ إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسخَّرتَ لداوودَ الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييتَ لعيسى الموتى، فما جعلتَ لي ؟ فقال الله تبارك وتعالى: أَوَ لَيس قد أعطيتُك أفضل من ذلك كله، أني لا أُذكَر إلا وذُكرتَ معي**- لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ ننطق بها في الشهادتين في الأذان، في مشارق الأرض ومغاربها، في بلاد المسلمين كلها، ثم قال

---

(١) سورة آل عمران: آية [١٨].

(٢) سورة الشرح : آية ٤

له أيضاً - **وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً، ولم أُعطِها أمة** - حفظ القرآن خاصٌ بالمسلمين ولا أمة من الأمم، لا إنجيل، ولا زبور، ولا توراة، ولا صحف إبراهيم، ولا صحف موسى، لم يجعل لها الله ﷻ ما جعل للقرآن -، **وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**)[1].

وروى البخاري عن أنسٍ ﷺ أن النبي ﷺ ومُعاذٌ رَدِيفُه على الرحل قال له ﷺ: (**يا معاذ بن جبل!**) قلتُ: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً. فقال ﷺ: (**ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حَرَّمه الله على النار**) قلت: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ - بشرى عظيمة - فقال ﷺ: (**إذاً يتكِلوا**)[2] يترك العمل ويتكل على هذه الكلمة، ثم أخبر بها معاذ قبل موته خوفاً من الإثم، لأن هذا علماً سمعه خشي أن لا يبلغه فيأثم.

قال العلماء في هذا الحديث وأمثاله: التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار، بشرط أن يأتي بالفرائض ويترك الكبائر، فإن لم يأتِ بالفرائض، ولم يجتنب الكبائر، لم ينفعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول الجنة والخروج من النار.

إذاً كما ذكرنا: كلمة التوحيد، كلمة الشهادة؛ لها مقتضى، لذلك إذا أراد الإنسان أن يدخل في الإسلام بعد تمحيص وتفكير ودراسة واقتناع، يدخل في

---

(١) «تفسير ابن كثير» ص (٣٨٠٦) ج ٨ ، ط: ابن حزم، والحديث في «الدر المنثور» (٨ / ٥٤٩).

(٢) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ليس هذا فقط هو الإسلام، بل هي إعلام بقبول هذا الإسلام والالتزام بشرائع هذا الدين العظيم.

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**إنَّ الله يستخلصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة**) يخرجه من بين الصفوف المتلاطمة من البشر على (**رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سِجِلاً**) من الأعمال والمعاصي (**كلُّ سِجِلٍّ مِثلُ مد البَصَر. فيقول الله له تبارك وتعالى: أتُنكِر من هذا شيئاً؟**) مُسَجَّلةٌ بالصور، بالكتابة، بالتواريخ، بالمواعيد، بكل شيء (**أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله** ﷻ: **أفلك عذرٌ؟**) دافع عن نفسك؛ ألك عذرٌ أو حجة؟! (**فيقول: لا يا رب، فيقول الله** ﷻ: **إن لك عندنا حسنة**) حسنة واحدة !!، ولكنها حسنة عظيمة (**إنَّ لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتُخرجَ بطاقةٌ مكتوبٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضُرْ وَزْنَك. فيقول: يا ربِّ وما هذهِ البطاقة مع هذه السِّجِلات؟!**) ورقة واحدة مع سِجِلاتٍ مَدِّ البصر؛ تسعةً وتسعين (**فيقول الله له تبارك وتعالى: فإنك لا تُظلَم، فتُوضَعُ السِّجلاَّتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ**

فطاشَتِ، السَّجلاتُ، وثقلت البطاقةُ، فلا يَثقُلُ مع اسم الله تبارك وتعالى شيء)[1].

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، كلمة تكررها وتكررها لتتذكر نعمة الإسلام، لتتذكر نعمة التوحيد، فترى أن الله ﷻ تفضلَ عليك بأعظم نعمة، تفضل الله ﷻ عليك أن جعلك مسلماً ولم يجعلك بوذياً تسجد للأصنام، ولا هندوسياً تسجد للبقر، ولا نصرانياً تعبد عيسى، ولا يهودياً تعبد عزيراً؛ وإنما اصطفاك من بين البلايين من الناس؛ اختارك واصطفاك على مدى الأزمان، لتكون مسلماً موحداً، فأي نعمةٍ أعظم من هذه النعمة التي أكرمك الله بها ؟!.

ولذلك جاء في الحديث الحسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها)**[2] إذاً يكثر بها المسلم قبل أن لا يتحرك هذا اللسان فلا يمكنه عندها أن يتلفظ بها.

وتستحب الشهادة في أوقاتٍ وأماكن معينة وفاضلة، نختصر منها ما يلي:

ما جاء في الحديث الحسن؛ في دعاء الصباح والمساء، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال حين يُصبح أو حين يُمسي: اللهم إني أصبحتُ** - أو أمسيت - **أُشهدُك، وأُشهدُ حملةَ عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك أنك**

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وقال: «حديث حسن غريب»، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٦) وقال: «صحيح على شرط مسلم».

(٢) قال المنذري في «الترغيب» (٢٢٦٣): «رواه أبو يعلى بإسنادٍ جيد قوي».

أنت الله لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله رُبُعه من النار، فإن قالها مرتين ،أعتق الله نصفه من النار، فإن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار)[1].

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (**ما منكم من أحدٍ يتوضأُ فيُسبغُ الوضوءَ ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)**[2] كلمة الشهادة؛ كيف لا تفتح لها أبواب الجنان؟! وكيف لا يعتق صاحبها من النيران؟! وهي تتضمن توحيد الباري ﷻ والإقرار بنبوة محمدٍ ﷺ.

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**من قال حين يسمع المؤذن** - بعد أن ينتهي من الأذان -: **وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ رسولاً؛ غفر الله له ذنوبه)**[3].

وأخيراً دعاء ختام المجلس ففي الحديث الصحيح: (**من جلس مجلساً كَثُرَ فيه لغطُهُ** - كثرت فيه أخطاؤه -، **فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك**

---

(١) رواه أبو داوود (٥٠٦٩)، والترمذي (٣٤٩٥)، وقال محقق «جامع الأصول»: «حديث حسن بشواهده».

(٢) رواه مسلم (٢٣٤).

(٣) رواه مسلم (٣٨٦).

اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك، إلا غُفِر له ما كان في مجلسه ذلك)[1].



(١) رواه الترمذي (٣٤٣٣) وقال: «حديث حسن صحيح».

قوله تعالى:

﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ و﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وردت هذه اللفظة في كتاب الله تبارك وتعالى في ثلاثة مواضع في القرآن العظيم؛ جاء عن أبي أمامة، ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن اسم الله ﷻ الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى في ثلاث سور من كتاب الله، في سورة البقرة وآل عمران وطه)**[1].

أما سورة البقرة فهي في أول آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وأما في آل عمران ففي أول السورة: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾، وأما في سورة طه فهي في قوله ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾.

وروى الترمذي عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال: **(اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(١) رواه أحمد (٦ / ٤٦١) رقم (٢٧٦١١) وقال محققو «المسند»: «إسناده ضعيف، والحديث رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٣٧١)، والحاكم (١/ ٥٠٦)، وابن ماجه (٣٨٥٦)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١٣٥٢) بعد أن أورده موقوفاً ومرفوعاً: «رجال الموقوف ثقات، وأما المرفوع ففيه غيلان؛ لم أرَ فيه كلاماً».

ٱلرَّحِيمُ ﴿٣﴾﴾، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً، ورجلٌ يصلي[2]، ثم دعا: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، يا حنان، يا منان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم)، فقال رسول الله ﷺ: **(لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)**[3] إذاً مجموع هذه الروايات تبين أن مما يترجح أنه اسم الله الأعظم: اسم ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أعظم الأسماء لله ﷻ الحي القيوم. قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: (وأما قوله ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بِحَدّ، ولا آخر له بأمد؛ إذ كل ما سواه وإن كان حَيّاً فلحياته أولٌ محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها[4].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (﴿ٱلۡحَيُّ﴾ أي: الحي في نفسه، الذي لا يموت أبداً)[5].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٨) وقال: «حديث حسن صحيح»، ورواه أبو داود(١٤٩٦)،وابن ماجه(٣٨٥٥).

(٢) هو أبو عيَّاش زيد ين الصامت الزُّرقي ﷺ .

(٣) رواه أبو داود (١٤٩٠)، وابن حبان (٨٩٣)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، والحاكم (١/ ٥٠٤) وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

(٤) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٢٧) ط: هجر.

(٥) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٢٣) ط: ابن حزم.

ومن هنا تأتي عظمة هذا الاسم، وجلال هذا الاسم الكريم المبارك، وهذا كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[1]، ومن هنا تأتي عظمة حياة الله تبارك وتعالى؛ إنها حياة ليس فيها موت.

وقال تعالى عن نفسه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2] فهو كما قال العلماء: اسم من أسماء الله الحسنى، وفرق بين حياة الله وحياة الخلق.

قال الشيخ محمد رشيد رضا في «تفسير المنار»: (إن حياة الله تعالى ذاتية وحياة الإنسان من الله تعالى، وإن حياة الله تعالى أزلية - يعني قديمة - وحياة الإنسان حادثة، أن حياة الله تعالى لا تفارقه، وحياة الإنسان تفارقه حين يموت، وإن حياة الله تعالى هي التي تفيض الحياة على كل حي، وحياة الإنسان خاصة به، وكذلك العلم، والتدبير، والإرادة، كل ذلك ناقص في الإنسان، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن النقص، وإليه ينتهي الكمال المطلق في ذاته وصفاته تبارك وتعالى)[3].

بل إن الله تبارك وتعالى هو الذي يحيي ويميت كما جاء في القرآن العظيم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

---

(١) سورة الفرقان: آية [٥٦].

(٢) سورة غافر: آية [٦٥].

(٣) «تفسير المنار» (٣/ ٢٨) بتصرف يسير.

(٤) سورة الحج: آية [٦٦].

﴿تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1] فالحياة حادثة للإنسان؛ كنا أمواتاً وأصبحنا أحياءً بأمر الله وقدرته؛ فكيف نُقَصِّر في جنب الله تبارك وتعالى؟!.

بل إن الله أحيانا نحن المسلمين المؤمنين حياةً أخرى غير حياة الدم والحركة والجسد التي نشترك فيها مع كل المخلوقات؛ فكلها بقلبٍ وبدمٍ، وبعصبٍ وبحركة؛ لكن الله أحيانا حياةً أخرى؛ قال ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[2] إذاً نحن المسلمين إذا عرفنا الله ﷻ، وَأَدَّينا مَا أَمَرَنا تبارك وتعالى به، واجتنبنا ما نهانا الله عنه، فنحن أحياء؛ وبقية البشر أموات، أحيانا بالقرآن، أحيانا بالإيمان، أحيانا بالدين؛ فهذه حياتان.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[3] فالحياة ليست صحة الجسد فقط، بل الحياة أيضاً صحة الروح والقلب، والدين والإيمان.

وسمى هذه الدنيا حياة وسمى الآخرة حياة، فهنا حياة وهناك حياة، ولكن شَتَّان بين الحياتين، شتان بين هذه الحياة الفانية وبين تلك الباقية؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي

---

(١) سورة البقرة: آية [٢٨].

(٢) سورة الأنعام: آية [١٢٢].

(٣) سورة الأنفال: آية [٢٤].

﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ٣٨﴾[1]، وقال عن الحياة الآخرة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾[2] يعني: حياتان وليست واحدة.

فالحي من أسماء الله الحسنى؛ حياة الدنيا كلها من هذا الاسم، ومن حياة الله تبارك وتعالى.

وقال ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾[3]؛ حتى الحياة الدنيا، القصيرة الفانية، إذا أردتها طيبةً مباركة، فَسِرْ على منهج الله تكن حياتك طيبة سعيدة، وفي الآخرة تكون الحياة الأبدية حياة طيبة بإذن الله تبارك وتعالى، مع صلاح العمل.

قال القرطبي رحمه الله: (﴿ٱلۡحَيُّ﴾ اسم من أسماء الله الحسنى يُسَمَّى به، ويقال: إن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحي الموتى يدعو بهذا الدعاء (يا حي يا قيوم) ويقال: إن آصف بن بَرْخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى سليمان دعا بهذا الدعاء (يا حي يا قيوم) و﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾: القائم بتدبير ما خلق)[4].

حي لا يموت، يدبر ويتصرف، ويحفظ خلقه تبارك وتعالى، وهو قائم ليس على البشر وحدهم، ولا على الملائكة فقط، ولا على الجن فحسب، بل قائم على

---

(١) سورة التوبة: آية [٣٨].

(٢) سورة العنكبوت: آية [٦٤].

(٣) سورة النحل: آية [٩٧].

(٤) «تفسير القرطبي» (٣ / ١٧٦) ط. دار الكتب المصرية.

كل شيء؛ قال جل وعلا: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[1] (قال الحسن: معناه القائم على كل نفسٍ بما كسبت حتى يجازيها بعملها، من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيءٌ منها، وقال ابن عباسٍ: معناه الذي لا يحول ولا يزول)[2].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عمَّا سواه، وهو المقيمُ لغيره؛ فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته)[3].

هذه بعض معاني هاتين الكلمتين العظيمتين: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: **(ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيكِ به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتكَ أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)**[4].

وعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(من قال في دبر صلاة الفجر، وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيءٍ قديرٌ، عشر مراتٍ، كُتِبَ له عشرُ حسنات، ومُحِيتْ عنه**

---

(١) سورة الرعد: آية [٣٣].

(٢) «تفسير القرطبي» (٣/ ١٧٧).

(٣) «أسماء الله الحسنى» لابن قيم الجوزية، ص (٢٢٥) ط: دار الكلم الطيب.

(٤) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٧٠)، والحاكم (١/ ٥٤٥) وقال: «صحيح على شرطهما»، ووافقه الذهبي.

عشرُ سيئاتٍ، ورُفِعَ له عشرُ درجاتٍ، وكان يومَهُ ذلك في حرزٍ من كل مكروه، وحُرِسَ من الشيطان، ولم ينبغِ لذنبٍ أن يُدْرِكَهُ في ذلك اليومِ إلا الشرك بالله تعالى)[1].

هذا كله بهذا الذكر العظيم، وخصوصاً في الفجر، يتذكر الإنسان في الصباح: الحياة؛ أن الله أحياه بعد الموت، فيقول هذا الدعاء (يحي ويميت) وإذا جاء المغرب قاله مرةً أخرى ليتذكر قرب الموت، والنوم موتة صغرى كما نعلم جميعاً.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة)** يعني مليون حسنة **(ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة)**[2].

وعن بقية قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في البحر، فهاجت الريح، واضطربت السفينة، وبكى الناس، فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى؟ فقال أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم – توجه إلى الله بهذا الدعاء –: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٤) وقال: «حديث حسن غريب صحيح».

(٢) رواه الترمذي (٣٤٢٨) وقال: «حديث غريب»، قال المنذري في «الترغيب» (٢٥٢٣): «وإسناده متصلٌ حسن، ورواته ثقات أثبات، وقال الترمذي في رواية له مكان: **(ورفع له ألفَ ألفَ درجة)** **(وبنى له بيتاً في الجنة)** ورواه بهذا اللفظ ابن ماجه – (٢٢٣٥) – ، وابن أبي الدنيا، والحاكم – (١/ ٥٣٨) – وصححه».

كل حي، ويا حي بعد كل حي، ويا حي يا قيوم، يا محسن يا مجمل، قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك. فهدأت السفينة من ساعته[1].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام، والقدرة التامَّة، فكأن المستغيث بهما مستغيثٌ بكل اسم من أسماء الرب تبارك وتعالى، وبكل صفةٍ من صفاته، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين؛ أن يكونا في مظنَّة تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإنالة الطلبات)[2].

فعند الكرب، وعند الضيق، وعند الحاجة؛ عَوِّد لسانك أن يلهج بهذين الاسمين العظيمين: (يا حي يا قيوم).

وفي الحديث الحسن عن بلال بن يَسار بن زيدٍ قال: حدثني أبي عن جَدِّي أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: (**من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفر له وإن كان فرَّ من الزحفِ**)[3] نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه.



(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٩٦).

(٢) «أسماء الله الحسنى» صـ(٢٢٦).

(٣) رواه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧) وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». قال المنذري في «الترغيب» (٢٤١٤): «وإسناده جيدٌ مُتّصِل».

قوله تعالى:

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

قوله ﷻ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تقدم الحديث عن قوله تعالى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ فتناسب الحديث بعدها مباشرة؛ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فهو حي لا ينام، وقيوم لا يغفل ولا ينعس، كما قال ابن جرير – رحمه الله – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: السِنة النعاس[1].

وقَدَّم السِنة على النوم لكونها تتقدمه في الوجود؛ لأن النعاس يأتي قبل النوم و(تقدير الآية: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ فضلاً عن أن يأخذه نوم، وقال زهير الشاعر:

ولا سِنَةٌ طوال الدهر تأخذه ولا ينام وما في أمره فَنَدُ

فلو وقع الاقتصار في النظم القرآني على نفي النوم فقط لم يفد نفي السِنة، فكم من ذي سنة غير نائم)[2].

وقال ابن كثير – رحمه الله–: (﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أي: لا يعتريه نقصٌ ولا غفلة ولا ذهولٌ عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣١).

(٢) «فتح القدير» (١/ ٣٤٥، ٣٤٦) بتصرف.

كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم)[1].

وفي الصحيح عن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: **(إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القِسط ويرفعه، يُرفَعُ إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه)**[2].

وقال الشيخ الإمام محمد عبده رحمه الله: (والجملة – أي: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ – تأكيد لما قبلها- تأكيد لقوله ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ – مقررة لمعنى الحياة والقيومية على أكمل وجه، فإنَّ من تأخذه السِّنة والنوم يكون ضعيف الحياة، وضعيف القيام بنفسه أو على غيره)[3]، وتعالى ﷻ عن ذلك علواً كبيراً.

وقال الشيخ ابن عاشور محمد الطاهر رحمه الله: (ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيقٌ لكمال الحياة، ودوام التدبير، وإثباتٌ لكمال العلم؛ فإن السنة والنوم شبيهان بالموت، فحياة النائم في حالهما حياةٌ ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الحس)[4].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٩) في كتاب الإيمان.

(٣) نقلاً عن «تفسير المنار» (٣/ ٣٠) ط. دار المعرفة.

(٤) «التحرير والتنوير» (٢/ ٤٩٤) ط. مؤسسة التاريخ العربي.

ومما يدل على أن النوم ليس بحياة، وإنما هو موتة صغرى، ما جاء في كلام الله تبارك وتعالى؛ فإذا كان النوم موتاً والله ﷻ قد نفى عن نفسه الموت وأوجب لها الحياة، فمن باب أولى أن ينفى النوم أيضاً.

قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

قال ابن كثير – رحمه الله – تعالى: (ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة، بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام،

وكما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[2] فذكر الوفاتين الصغرى والكبرى – ثم قال ابن كثير – رحمه الله –: وفيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى – يعني: أرواح الأموات، وأرواح النائمين – ... وقال بعض السلف: تقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف.

---

(١) سورة الزمر: آية [٤٢].

(٢) سورة الأنعام: آية [٦٠ – ٦١].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس ﷺ: يمسك أنفسَ الأموات، ويرسل أنفس الأحياء، ولا يغلط. سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢﴾[1].

ولذلك نرى أن غالبَ أدعيةِ النوم التي علمنا إياها النبي ﷺ تشير إلى ذلك، وتُوَدِّعُ هذه الحياة، وتسأل الله ﷻ أن يحسنَ الختام، كما جاء في الحديث الصحيح عن حذيفة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خَدِّه ثم قال: **(باسمك اللهم أموتُ وأحيا)** وإذا استيقظ قال: **(الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)**[2].

فهل نعتبر بهذا النوم الذي نعتبره راحةً وهدوءً وسكينةً، وننسى أنه موتةً صغرى؟!.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفُض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه** - يعني: لا يدري ما وقع على فراشه من هوامٍ أو تراب - قال: **ثم يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول** - وهذا فيه تشبيه بالميت الذي يوضع في قبره، فإنه يوضع على خده الأيمن،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٠٤٢) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٣١٤).

وعلى شقه الأيمن-: **باسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعُهُ، إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)**[1].

وفي روايةٍ الترمذي: **(وإذا استيقظ يقول: الحمد لله الذي عافاني في جسدي، ورد عليَّ روحي، وأذن لي بذكره)**.

وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازبٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وُضُوءَك للصلاة، ثم اضطجع على شِقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك ،لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابِك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، رغبةً ورهبةً إليك، فإن مِتَّ مِن ليلتِكَ، فأنتَ على الفطرة، واجعلهُنَّ آخر ما تتكلَّمُ به)** قال: فردَّدتها على النبي ﷺ، فلمَّا بلغتُ: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلتُ: ورسُولك، قال: **(لا، ونبيِّك الذي أرسلت)**[2]. إذاً الدعاء يحفظ بحذافيره، من غير زيادةٍ ولا نقصان.

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: **(اللهم خلقت نفسي وأنتَ توفَّاها، لك مماتُها ومَحياها، إن أحييتَها فاحفظها، وإن أمتَّها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية)** فقال له رجلٌ: أسمعتَ هذا من عمر؟ فقال: سمعته من خيرٍ من عمر، من رسول الله ﷺ[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤)، والترمذي (٣٣٩١).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧١٢).

وفي الحديث الحسن عن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يرقد، وضعَ يدَه اليمنى تحت خَدِّه، وقال: **(اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك)** ثلاث مرات[1].

فقد يكون هذا النوم بعده الموت، ولقاء رب العالمين، والبعث والنشور، ومن مات قامت قيامته، فلذلك يكون الدعاء بالنجاة من أعظم الأهوال بعده، وهي أهوال يوم القيامة.

وأخيراً جاء في الحديث الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه، ثلاث مرات غُفرت له ذنوبُه وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رملِ عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا)**[2] فلنحرص على هذه الأدعية عند النوم، فلعلنا ننام ولا نستيقظ، ولعلنا ننام ونستيقظ في طاعة الله، وفي مرضاة الله تبارك وتعالى.



(١) رواه أبو داود (٥٠٤٥) في «الأدب»، باب: ما يُقال عند النوم، وقال محقق «جامع الأصول» (٤/ ٢٧١): «وهو حديث صحيح».

(٢) رواه الترمذي (٣٣٩٤) في «الدعوات»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

قوله تعالى:

﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾

يقول الله ﷻ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، قال الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله –: (يعني جل ثناؤه أنه مالك الجميع بدون شريك ولا نديد، وخالق جميعه دون آلهةٍ ومعبود، وإنما يعني بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيءٍ سواه، لأن المملوك إنما هو طوعُ يد مالكه، وليس له خِدمةُ غيره إلا بأمره)[1]. ويؤيد هذا آياتٌ كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2]، وفي آية أخرى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[3].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده وملكه، وتحت قهره وسلطانه؛ كقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾[4].

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٤).

(٢) سورة البقرة: آية [١٠٧]، وسورة المائدة: آية [٤٠].

(٣) سورة البقرة: آية [٢٥٥].

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٤٢)، والآيات من سورة مريم: [٩٣ – ٩٤].

وقد جاء ذكر السماوات والأرض في آيات كثيرة في القرآن العظيم؛ لأنها من أعظم خلق الله تبارك وتعالى، ومن أوائل ما خلق الله تبارك وتعالى.

ومن هذه الآيات: قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[1].

وقوله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] كل شيء مسلم ومستسلم وخاضع لله تبارك وتعالى، إلا العبد الكافر والعاصي.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾[3] هو خلقها، وهو يملكها، وهو يرثها؛ إذاً ملكنا في هذه الأرض ملك مؤقت محدود بحياتنا، فإذا متنا انتقل إلى غيرنا، وهذا مؤقت ومجازي ليس بحقيقي، إنما المُلكُ الحقيقي لله تبارك وتعالى، وقد يأتي أحد بصك ويقول هذه أرضي، هذا بيتي، هذه عمارتي، وفي الحقيقة ليس لك فيها شيءٌ؛ إنما هو إكرامٌ من الله تبارك وتعالى، جعل لك ملكاً مؤقتاً ومجازياً، وإنما الملك الدائم والحقيقي لله تبارك وتعالى.

وقال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴿٤٩﴾﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: آية [٢٩].

(٢) سورة آل عمران: آية [٨٣].

(٣) سورة آل عمران: آية [١٨٠].

(٤) سورة الشورى: آية [٤٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [1] هذا الكون العظيم الهائل خلقه في ستة أيام، وهو قادر على أن يخلق الكون كله بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ؛ ولكن ليعلِّم خلقه ويربيهم على هذه السنة، وعلى هذا المبدأ؛ أن يجتهد الإنسان في بناء شيء، وفي عمل شيء، وفي إتقان شيء، فلا بد له من وقت حتى ينجز هذا العمل.

وقوله سبحانه كذلك ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [2] بناء ليس له أعمدة، أو له أعمدة لا نراها؛ تحتمل الآية التفسيرين.

وقال جل وعلا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [3] السماوات كلها والأرض كلها تسبح لله العظيم الخالق سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [4] كانت الأرض والسماء والكواكب كلها شيئاً واحداً، كانت دخاناً كما قال القرآن، وهو ما اكتشفه علماء الفلك: أن هذه الكواكب كانت ذرات وغازات وأبخرة.

---

(١) سورة الأعراف: آية [٥٤]، وسورة يونس: آية [٣].

(٢) سورة الرعد: آية [٢].

(٣) سورة الإسراء: آية [٤٤].

(٤) سورة الأنبياء: آية [٣٠].

وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[2] هو يملكها وكل ما فيها، وهو الذي سخَّر لنا ما فيها سبحانه تكرمَّاً منه وتفضلاً فله الحمد كله.

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[3].

وقوله ﷻ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4].

وقوله ﷻ ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[5] ما يملك الإنسان ذرة لا في الأرض ولا في السماء، إنما يملكها الله، ولا تغيب عنه، ويعلم مكانها وحالها.

---

(١) سورة فصلت: آية [١١].

(٢) سورة لقمان: آية [٢٠].

(٣) سورة الإسراء: آية [٩٩].

(٤) سورة سبأ: آية [٣].

(٥) سورة سبأ: آية [٢٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾[2].

قال علماء الفلك: الأرض كوكب صغير تابع للشمس، والشمس أحد نجوم مجرة درب التبانة، ودرب التبانة يحوي مجموعة ضخمة من الكواكب والنجوم من ضمنها الشمسُ وكواكبها التي تدور معها، ومنها الأرض، ودرب التبانة مجرَّةٌ واحدةٌ؛ كم تحتوي هذه المجرة من نجوم وكواكب؛ الأرض من أصغرها، والشمس من أصغرها قالوا: تضم مائة بليون نجم، يعني مائة ألف مليون نجم منتشرة في الفضاء، ومنها الشمس، وهي أكبر من الأرض بثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ألف مرة، وهي تسير بسرعة ألف وخمسمائة كيلو متر في الثانية، يعني بمقدار ما تغمض عينك تسير هذه الشمس تلك المسافة الشاسعة؛ وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[3] وهي تدور حول محورها مرة واحدة في داخل المجرة؛ كل مائتين مليون سنة تكمل لفة واحدة، ويبلغ أقصر قطر لمجرة التبانة - القطر مسافة من الوسط إلى الطرف - أقل قطر مسافة مائة ألف سنة ضوئية، هذا أقصر قطر للمجرة!!.

---

(١) سورة الزمر: آية [٦٧].

(٢) سورة الطلاق: آية [١٢].

(٣) سورة يس: آية [٣٨].

وهناك عشرات الآلاف من المجرَّات غير هذه المجرة، وهذا الذي توصل له علماء الفلك، وإلا فالله ﷻ يوسع في خلقه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[1].

اليوم في الأرض أربعة وعشرون ساعة، الزمن نسبي حتى نأتي إلى آية من الآيات، ولكن في الزهرة اليوم الواحد مائة وثمانية عشر يوماً أرضياً، وفي عطارد اليوم مائة وستة وسبعون يوماً أرضياً، فالزمن إذاً نسبي، والله ﷻ يقول: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾[2] وهذه الآية لم تحدد من أين يبدؤون، ولا أين ينتهون.

وفي آيةٍ أخرى يقول الله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾[3] فلا تعارض بين ألف سنة، وبين هذه الأخرى، لأنه في الأولى لم يُعرف البداية ولا النهاية، ولكن في الأخرى حددت البداية والنهاية.

وعن أبي ذر ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾[4] حتى ختمها ثم قال: (**إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق**

---

(١) سورة الذاريات: آية [٤٧].

(٢) سورة المعارج: آية [٤].

(٣) سورة السجدة: آية [٥].

(٤) سورة الإنسان: آية [١].

لها أن تئط) الأطيط: صوت يصدر من السماء، من كثرة الملائكة التي عليها **(ما فيها موضع أربعِ أصابع، إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله)**[1].

وقد صعد النبي ﷺ ليلة المعراج إلى السماء الأولى ومعه جبريل عليه السلام، فلما جاء على باب الحفظة قالوا: من معك يا جبريل؟ قال: معي محمد. قالوا: وقد بعث عليه الصلاة والسلام. وعندها فُتِحَ واستقبلته الملائكة بالبشر والسرور عليه الصلاة والسلام، ورأى من أنبياء الله ما رأى؛ إبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويحيى وغيرهم في كل سماء من هذه السماوات حتى وصل إلى البيت المعمور، وهو بيت يقابل الكعبة في السماوات العلا، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة مرةً أخرى، لكثرة الملائكة الكرام؛ ملك واسع عظيم، ورأى جبريل على حقيقته وله ستمائة جناح ما بين الجناح والجناح كما بين السماء والأرض.

هذا هو ربنا الذي نُقَصِّر في طاعته، ونضيع الصلوات والعبادات والأوامر التي أمرنا بها سبحانه، وهذا ملكه ونحن لا نعرف أننا نقصر مع إله عظيم كبير سبحانه وتعالى.

وروى البخاري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: **(لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات وربُّ الأرضِ**

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢)، والحاكم (٤ / ٥٤٤، ٥٧٩) وقال: «صحيح الإسناد».

وربُّ العرش الكريم)[1] ثم يدعوا؛ فهذا الدعاء عند الكرب مستجاب بأمر الله تبارك وتعالى.

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من عبدٍ يقول في صباحِ كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٍ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضرَّهُ شيءٌ)**[2]، إذا ذكرت هذا الدعاء في الصباح وفي المساء لا يضرك شيء بأمر الله تبارك وتعالى.

وفي الحديث الحسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا تخوف أحدكم السلطان فليقل: اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، كن لي جاراً من شر فلان بن فلان** - يعني: الذي يريده - **وشر الجن والإنس وأتباعهم، أن يفرط عليَّ أحد منهم، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك)**[3].

والأدعية التي جاءت في هذا الباب وذكرت السماوات والأرض كثيرة، ولكننا نكتفي بما ذكرناه.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) رواه أبو داوود (٥٠٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، والترمذي (٣٣٨٨) وقال: «حديث حسن غريب صحيح»، والحاكم (١/ ٥١٤) وقال: «صحيح الإسناد».

(٣) قال المنذري في «الترغيب» (٣٣٠٨): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح إلا جنادة بن مسلم، وقد وثق، ورواه الأصفهاني وغيره موقوفاً على عبد الله؛ لم يرفعوه».

قوله تعالى:

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

قوله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ، وهذا بعد قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهناك مناسبة: فبعد أن ذكر أن له ملك السماوات والأرض تبارك وتعالى، بين أيضاً: أن له ملك الدار الآخرة، وأنه لا يتصرف متصرفٌ يوم القيامة، ويوم البعث والنشور إلا بإذنه؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1] لا يتكلم متكلم - مجرد الكلام - إلا بإذنه تبارك وتعالى، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾[2].

وتأتي هذه الآية: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ والمعنى: من هذا الذي يتجرأ ويشفع ويطلب الشفاعة من غير إذنه تبارك وتعالى؟!.

---

(١) سورة هود: آية [١٠٥].

(٢) سورة طه: آية [١٠٨].

وقد جاءَت آيات كثيرة بهذا المعنى، منها قوله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[1] فلا تنفع الشفاعة ولا تقبل ولا يُسمح بها؛ إلا لمن أذن له الرحمن؛ ملكٌ كاملٌ، سلطةٌ كاملةٌ، قدرةٌ كاملةٌ، وهي لمن له ملك السماوات والأرض.

وقولـه ﷻ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[2].

وقولـه ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[3].

فالشفاعة يوم القيامة بيد الله وحده، ولا يشفع من يشفع إلا بإذن الله، إذاً لا يرجو الشفاعة إلا من أرضى الله، إلا من قصد الله تبارك وتعالى، أما من قصد غير الله تبارك وتعالى، فلا شفاعة له، وهي إشارة إلى عبدة الأوثان الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[4] وكانوا يأملون ويرجون في شفاعة أوثانهم وأصنامهم لهم يوم القيامة؛ ينتظرون شفاعتهم، فَرَدَّ الله هذا الكلام عليهم.

---

(١) سورة طه: آية [١٠٩].

(٢) سورة النجم: آية [٢٦].

(٣) سورة الزمر: آية [٤٣ - ٤٤].

(٤) سورة الزمر: آية [٣].

وقال الله تبارك وتعالى كذلك: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[1] هذه بعض الآيات، وهناك آيات كثيرة غيرها في هذا المعنى.

وهناك آيات أخرى تتكلم عن السكوت بين يدي الله تبارك وتعالى، حتى مجرد الكلام لا يكون إلا بأمر الله تبارك وتعالى، وإلا بإذن الله ﷻ.

قال سبحانه وتعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾[2] فهو يعلم من يقول الصواب فيأذن له تبارك وتعالى.

ومعنى الشفاعة كما بينها العلماء شرعاً: هي طلب الرسول ﷺ، أو غيره - من الأنبياء والصالحين - من الله ﷻ في الدار الآخرة حصول منفعةٍ لأحدٍ من الخلق.

وهذا التعريف يشمل الشفاعة العظمى للنبي ﷺ للعالمين أجمعين، الشفاعة العظمى للمسلمين والكافرين من شدة هول يوم القيامة، حتى يقول قائلهم: يا

---

(١) سورة سبأ: الآيات [٢٢ - ٢٣].

(٢) سورة النبأ: الآيات [٣١ - ٣٨].

رب ولو إلى النار؛ من شدة ذلك الموقف والعياذ بالله ﷻ؛ يريدون الخلاص ولو إلى النار!!.

قال الحافظ ابن كثيرٍ – رحمه الله – عند قوله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ قال: (هذا من عظمته وجلاله وكبريائه ﷻ، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه له في الشفاعة)[1].

ونقل صاحب تفسير المنار عن الإمام محمد عبده أنه قال في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ قال: (بيانُ انفراده تعالى بالسلطان والملك، وعدم جراءَة أحدٍ من عبيده من الشفاعة أو التكلم بدون إذنه، وإذنه غير معروف لأحدٍ من خلقه)[2].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: (تقرر من هذه الآية: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة، وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم الله تبارك وتعالى وشَرَّفهم، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى)[3].

أما أول الشفعاء وسيدهم فهو محمد ﷺ؛ أول شافعٍ وأول مُشَفَّع، أولُ من يشفعُ، وأول من تُقبل شفاعته؛ هو محمد ﷺ صاحب لواء الحمد، الذي سيبعثه

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٢٤).

(٢) «تفسير المنار» (٣/ ٣١).

(٣) «تفسير القرطبي» (٣/ ١٧٨) ط. دار الكتب العلمية.

ربه تبارك وتعالى مقاماً محموداً؛ قال ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[1] والمقام المحمود: هو مقام الشفاعة.

جاء في حديث الشفاعة الطويل، ونأخذ جزءاً منه: بعد أن يأتي الناس كلهم إلى آدم وإلى نوح وإلى إبراهيم وإلى موسى وإلى عيسى عليهم جميعاً صلوات ربي وسلامه، يطلبون أن يشفع أحد منهم إلى الله تبارك وتعالى ليبدأ الحساب، ويتخلصون من موقف يوم القيامة، فكل منهم يلقيها على أخيه، حتى تصل إلى محمد ﷺ (فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله) الكل يعترف يوم القيامة أنه رسول الله، رغم أنهم هنا في الدنيا - غير المسلمين - لا يعترفون برسالته، ولكنهم يوم القيامة، يوم يكشف لهم عن كل شيء يعترفون؛ (أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟!) قال ﷺ: (**فأنطلق فآتي تحت العرش فأخر ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله ﷻ عليَّ من المحامد والثناء ما لم يفتحه على أحدٍ قبلي**) فلا الأدعية التي دعا بها الناس على مرّ الزمان والدهور، ولا المحامد التي حمد الناس بها؛ يُدَّخَرُ له محامد خاصة بذلك المقام العظيم، وثناء خاص في ذلك اليوم العظيم؛ لم يفتحه على أحدٍ قبله ﷺ (**ثم يقال: يا محمد ! ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تُشفع**) فيكون أول شافعٍ ﷺ؛ يقول عليه الصلاة السلام: (**فأرفع رأسي وأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب**) هَمُّه الأول أمته عليه الصلاة والسلام،

---

(١) سورة الإسراء: آية [٧٩].

الذين لهجت ألسنتهم بذكر الله، وبالصلاة على رسول الله ﷺ، فيقول الله ﷻ: **(يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة)** باب خاص بأهل أمة محمد ﷺ، الذين لا حساب عليهم، (وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) ثم قال ﷺ : **(والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعين من مصارع الجنة)** ما بين أبواب الجنة **(لَكَمَا بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى)**[1]، كما بين مكة واليمن، ومكة والشام، حتى نعرف كثرة من يدخله من عباد الله تبارك وتعالى.

وفي رواية: **(فأقول يا ربِّ! ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ! فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)**[2].

وفي الحديث أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)**[3].

إذاً أول من يشفع هو النبي عليه الصلاة والسلام، ويشفع الشفاعة العظمى للبشر، ثم الشفاعة لمن قال لا إله إلا الله، ومن ابتلي من أهل الشهادتين بالمعاصي والكبائر كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار، لماذا ؟ لكلمة التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (١٩٤) واللفظ هنا لمسلم.

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن ماجه (٤٣١٠)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيحٌ غريب من هذا الوجه».

ثم يشفع الأنبياء، يأتي بعد ذلك إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي سعيد ﷺ، عن النبي ﷺ وفيه: (ثم يقول الله ﷻ: (**شفعتِ الملائكةُ، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقيَ أرحمُ الراحمين**) قال: (**فيقبِضُ قبضةً من النار، أو قال: قبضتين؛ ناسٌ لم يعملوا لله خيراً قط، قد احترقوا حتى صاروا حمماً**) أصبحوا فحماً من النار (**فَيُؤتى بهم إلى ماءٍ يقال له : ماء الحياة، فَيُصَبُّ عليهم، فينبتُون كما تنبت الحبة في حَمِيل السيل، فيخرجُون من أجسادهم مثل اللؤلؤ، في أعناقهم الخاتمُ : عتقاء الله**)، قال: (**فيقال لهم : ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم عندي أفضل من هذا**)، قال : (**فيقولون : ربنا وما أفضل من ذلك؟**)، قال: (**فيقول: رضائي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً**)[1].

وهذه آخر الشفاعات؛ شفاعة أرحم الراحمين، ورب العالمين، وأكرم الأكرمين سبحانه وتعالى؛ جل جلاله، وعظم نواله، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره، وهم خلقه، يفعل فيهم ما يشاء.

وهذا بعد شفاعة الملائكة، والنبيين، أي أن الأنبياء يشفعون، ثم الملائكة وقد بينت الآيات شفاعتهم؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦**﴾[2]؛ فيشفع جبريل

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٩٥)، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) سورة النجم: آية [٢٦].

وإسرافيل وميكائيل وغيرهم من ملائكة الرحمن تبارك وتعالى، ممن تمر عليهم عبادة العابدين، ودعاء الداعين، واستغفار المستغفرين، وقيام الليل للمتهجدين، تمر عليهم كل يوم هذه صلاة فلان، وهذا صوم فلان، وهذه عبادة فلان.

ثم يشفع الشهداء؛ والشهداء هم الذين جاهدوا في سبيل الله تبارك وتعالى جهاداً خالصاً لا رياء فيه ولا سُمعة.

عن المقدام بنِ معد يكرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(للشهيد عند الله ست خِصال)** وذكر منها: **(ويُشَفَّعُ في سبعينَ مِن أقاربه)**[1].

والشهداء أولهم من قتلوا في سبيل الله تبارك وتعالى، ثم يأتي من الشهداء أنواع كثيرة، منهم: من قتل دون ماله يدافع عن ماله، ومن قتل دون دمه يدافع عن نفسه، ومن قتل دون عرضه يدافع عن أهله هؤلاء شهداء، والمطعون والمبطون والغريق والهديم - الذي انهدم عليه البيت ونحوه - والذي يموت في سبيل الله - في الحج، في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، في خدمة المسلمين - وصاحب ذات الجنب- وهو مرض معروف - والمرأة التي تموت بجمع - أي: وهي حامل- كل هؤلاء شهداء.

وذكر ابن حجر - رحمه الله - : من وقصه فرسه أو بعيره - وكأنه يدخل فيه من مات في حوادث هذه السيارات نسأل الله ﷻ أن يجيرنا وإياكم - أو لدغته هامة، أو مات على فراشِهِ على أي حتفٍ شاء الله ﷻ، وموت الغريب - الذي يموت غريباً في

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٩٩)، والترمذي (١٦٦٣) وقال: «حديث صحيح غريب».

أرض غربة -، والمرابط في سبيل الله، واللديغ، والشريق، والذي يفترسه السبع، والساقط عن دابته، والمائدُ في البحر الذي يصيبه القيءُ، ومن طلب الشهادة بنية صادقة؛ فكل هؤلاء شهداء لا تنطبق عليهم أحكام الشهداء في الدنيا - أي يُغَسَّلُون، ويُصَلَّى عليهم، ويدفنون؛ لا يعاملون كالشهداء الذين ماتوا في سبيل الله، ولكنهم في الآخرة مثلهم في الأجر والثواب، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن ذكر الأحاديث التي تدل على إثبات فضل الشهادة لهؤلاء الذين سبق ذكرهم؛ قال: (ويتحصَّل مما ذكر في هذه الأحاديث أن الشهداءَ قسمان: شهيدُ الدنيا، وشهيد الآخرة، وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلاً غيرَ مدبرٍ مُخلصاً. وشهيدُ الدنيا وهو من ذُكر؛ بمعنى أنهم يُعطون من جنس أجر الشهداء، ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا)[1].

وأما بالنسبة للشفاعة فالله تبارك وتعالى أعلم؛ لأنه لم يذكر دليل في ذلك، هل يشفعون كما يشفع الشهيد المجاهد في سبيل الله تبارك وتعالى ؟ فالله ﷻ أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، ورب العالمين.

ثم أخيراً شفاعة المؤمنين: يشفع المؤمنون بعضهم في بعض، المؤمن المحافظ على الطاعات، المجتنب للمحرمات، كما جاء في الحديث المتفق عليه وهو حديث طويل نأخذ جزءاً منه (**يقولون:**) هؤلاء المؤمنون (**ربنا إخواننُا، يُصلُّون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهبوا فمن وجدتم في**

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٢).

قلبه مِثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرجوه) أي من النار، **(ويُحَرِّم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضُهُم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه)** والعياذ بالله ﷻ **(فيخرجون من عرفوا)** ليس أقاربهم، وإنما المؤمنين الذين صلّوا معهم، وصاموا معهم، وحجوا واعتمروا معهم **(ثم يعودون، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مِثقال نِصفَ دينارٍ فأخرِجُوه، فَيُخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا)**[1].

والذين يَشفعون هُنا هم: أهل الطاعة؛ الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وذكر الله، وطاعة الرحمن تبارك وتعالى، هؤلاء هم الذين يشهدون ويشفعون.

وهناك أعمال صالحة كثيرة تشفع لصاحبها عند الله تبارك وتعالى يوم القيامة، ولا يتسع المقام لذكرها جميعاً؛ منها القرآن والصيام، ففي الحديث: **(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة)**[2] نسأله ﷻ أن يكون الصيام والقرآن شفيعين لنا يوم الحسرة والندامة.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) رواه أحمد (٦٦٢٦) ، والحاكم (١/ ٧٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه)** ، قال: **(فيشفعان)**، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٨٨٢).

ومنها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهي تشفع لصاحبها، وخاصةً من قالها خالصاً من قلبه.

ومن صلى على النبي ﷺ كل يومٍ عشر مرات في الصباح، وعشر مرات في المساء حَلَّتْ له شفاعة النبي ﷺ.

ومن سمع المنادي ينادي للأذان فقال: **(اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)** حَلَّتْ له شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة[1].

نسأله تبارك وتعالى أن يجعلنا من شفعائه عليه الصلاة والسلام، يوم العرض على الله تبارك وتعالى، إنه على كل شيءٍ قدير.



(١) رواه البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)**.

قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

قولـه ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ فهذه الآية تتضمن صفةً عظيمة من صفات الله تبارك وتعالى، وهي صفة العلم، فكان لا بد من أن تذكر في أعظم آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى.

قال الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – عند قوله ﷻ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: (يعني جلَّ ثناؤه بذلك أنه المحيط بكل ما كان، وبكل ما هو كائن علماً، لا يخفى عليه شيءٌ منه – أنه مطلع وعليم بما كان وما سيكون – ثم نقل عن مجاهدٍ – رحمه الله – أنه قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما مضى من الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: أمامهم من الآخرة. وقال ابن جريجٍ: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي ما مضى أمامهم من الدنيا – الأيام التي ذهبت –، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة)[1]، ما يكون من الأيام القادمة، من اللحظات القادمة، من السنين

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٥) بتصرف.

القادمة، من الدهور القادمة، معما ينتظرهم من أمر الآخرة، كلها يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : (﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله تبارك وتعالى إخباراً عن الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[1].

وقال الألوسي– رحمه الله – : (وقيل في تفسير هذه الآية: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما يدركونه وما لا يدركونه، أو ما يحسونه ويعقلونه)[2].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما يدركونه، وما يحسُّونه، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما لا يدركونه، وما لا يحسونه، فإن مالا ندركه، ومالا نحسه، أكثر مما ندركه ونحسه، فنحن نرى الناس، ونرى الأرض، ولكننا لا نرى المجرات البعيدة، ولا الكواكب العظيمة، ولا الملائكة، ولا الجن، ولا السماوات العلا، ولا الجنة، ولا النار؛ فإن ما لا نراه ومالا ندركه أكثر مما نراه وندركه.

وقال ابن جرير الطبري – رحمه الله – : (وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره: أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيءٌ،

---

(١) «تفسير ابن كثير»، (٢ / ٦٢٥)، والآية من سورة مريم: [٦٤].

(٢) «روح المعاني» (٢ / ١٠) ط. دار الكتب العلمية.

محيطٌ بذلك كله، محصٍ له دون سائر من دونه، وأنه لا يعلم أحدٌ سواه شيئاً إلا ما شاء هو أن يُعلِمَه)[1].

فالعلم الذي لدى الناس هو عِلم أَذِنَ الله لنا أن نتعلمه، وشاء لنا أن نعلمه، ويسَّر لنا سبحانه وتعالى بعد إذنه وعلمه أن نتعلمه، وهو علم قليل في علم الله تبارك وتعالى؛ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[2] فقد يُغَرُّ الإنسان ويندهش بما يراه من العلوم الحديثة، والتقنيات الحديثة في الاتصالات، وفي الطيران، وفي الفضاء، وفي الطب؛ يندهش ويستعجب ويستغرب، ولكن كل هذا العلم الذي يندهش به الإنسان ويستغرب؛ يدخل في العلم القليل الذي هو من علم الله تبارك وتعالى، ولم يتعلمه الإنسان إلا بما شاء، فهو الذي أذن للإنسان أن يتعلم هذا العلم؛ سبحانه وتعالى.

وقال ابن جرير أيضاً: (إنما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً، فكيف يُعبَدُ من لا يعقل شيئاً البتة من وثن وصنم؟!، يقول: فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها، يعلمها، لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها)[3].

وقد ورد اسم العليم - وهو مبالغة من كثرة العلم - في القرآن الكريم في مائة وخمسين (١٥٠) موضعاً.

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٦).

(٢) سورة الإسراء: آية [٨٥].

(٣) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٦).

وهناك آيات كثيرة في كلام الله ﷻ تحدثت عن العلم، أو علم الله تبارك وتعالى، منها قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمَۢا ٣٣﴾، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ لا يبعد عنه ولا يغفل عنه ﴿مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾[6]،

---

(١) سورة الأنعام: آية [٥٩].

(٢) سورة سبأ: آية [٣].

(٣) سورة طه: آية [٧].

(٤) سورة البقرة: آية [٢٣٥].

(٥) سورة المائدة: آية [٩٧].

(٦) سورة الرعد: آية [٨ - ٩].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[4] وأخيراً قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[5]، أي: ليس عالماً أو عليماً فحسب؛ بل هو محيط بكل شيء، صغيراً أو كبيراً، سواءً كانت ذرة فهو محيط بها وبمكوناتها، أو كانت مجرة فهو محيط بها وبمكوناتها، سبحانه وتعالى.

وهناك من أسماء الله ﷻ ما يتعلق بهذا الاسم؛ بصفة العلم واسم العليم، فالعليم هو ذو العلم الكامل، فهو شامل لجميع المعلومات، محيط سابق على وجودها، لا تخفى عليه خافية.

---

(١) سورة التوبة: آية [٧٨].

(٢) سورة الفرقان: آية [٦].

(٣) سورة لقمان: آية [٣٤].

(٤) سورة الجمعة: آية [٨].

(٥) سورة الطلاق: آية [١٢].

ومن هذه الأسماء أيضاً: اللطيف، ومعنى اللطيف: أي أنه يعلم خفيات الأمور ودقائقها، قال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[1]. اللطيف الذي يعلم الدقائق، والخبير أي: العالم ببواطن الأمور وأسرارها سبحانه وتعالى؛ الذي لا يعزب عنه شيء، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[2].

والشهيد أيضاً من العلم، أي: العليم بالأشياء عن شهودٍ وحضور، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾[3] سبحانه وتعالى.

ومنها: الحسيب، من المحاسبة والحساب والعدل؛ الذي يحاسب على كل صغيرةٍ وكبيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾[4].

والمحصي أيضاً من الأسماء التي لها صلة بالعلم؛ وهو المحيط بكل موجود جملةً وتفصيلاً، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[5].

---

(١) سورة الملك: آية [١٤].

(٢) سورة الأنعام: آية [١٠٣].

(٣) سورة النساء: آية [٣٣]، وسورة الأحزاب: آية [٥٥].

(٤) سورة النساء: آية [٨٦].

(٥) سورة يس: آية [١٢].

ومنها السميع، أي: الكاشف لكل موجودٍ بسمعه، والبصير: الكاشف لكل موجود ببصره، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾[1].

ومن هذه الأسماء أيضاً: الرقيب؛ الذي يراقب الأشياء وهو يعلم بها، قال جل وعلا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾[2].

والمهيمن أيضاً: بمعنى المراقب والمشاهد، فهي من العلم.

والواسع إذا أخذناه بمعنى: سعة العلم؛ فهو سبحانه وتعالى الواسع بعلمه، المحيط به.

والمؤمن: وهو البالغ منتهى العلم اليقيني في كل شيء، فلا شك في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى، ولا يظن ولا يشك فيها.

وفي الحديث الصحيح عن أبي بن كعبٍ ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فَسُئِل؛ أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم . فعتب الله تبارك وتعالى عليه لأنه لم يرد العلم إليه، فقال له: (بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك)** وهو الخضر الذي جاء في سورة الكهف، ثم ذكر قصة الخضر مع موسى عليهما السلام حتى جاء فيها - وموسى مع الخضر في السفينة - **أن عصفوراً وقع على حرف السفينة** - جلس على طرف السفينة - **فنقر في البحر نقرة، أو نقرتين، فقال الخضر عليه السلام: يا موسى**

---

(١) سورة الإسراء: آية [١]، وسورة غافر: آية [٥٦].

(٢) سورة الأحزاب: آية [٥٢].

ما نقص علمِي وعلمُكَ من علم الله، إلا مِثْلَ ما نقَصَ هذا العُصفُورُ بمنقاره من البحر)[1]. كان هذا المثل العظيم والرائع، ليفهم الإنسان ويعلم قدر علم الله تبارك وتعالى بالقياس إلى علم البشر والناس جميعاً، مهما بلغوا من التقدم والعلوم، فكلها علوم بسيطة ويسيرة، فإذا كانت الطائرات والصواريخ، فالله تبارك وتعالى تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ واحد، ولكنه في أيامكم يساوي خمسين ألف سنة؛ كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾[2] لو أردنا بطائراتنا وصواريخنا أن نصل إليها؛ لوصلنا بعد خمسين ألف سنة، وتصلها ملائكة الرحمن بعلم الله سبحانه وتعالى الدقيق العظيم الهائل في يومٍ واحد، سبحانه وتعالى؛ ما أعظمه؟! وما أكبره؟! .

(ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور بما أخذه من البحر) وهل أخذ من البحر شيئاً؟! هل أخذ العصفور من البحر شيئاً؟! لا يُعدُّ ولا يذكر ما أخذه العصفور من البحر شيئاً، فهو لم يأخذ شيئاً يذكر، وكذلك الناس، وكذلك علومهم لا تساوي في علوم الله تبارك وتعالى شيئاً يذكر.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **(إذا هَمَّ أحدكُم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك،**

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) سورة المعارج: آية [٤].

وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علامُ الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي، وعاقبةِ أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدُرهُ لي، ويَسِّرهُ لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ودنياي، وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به)[1].

وفي هذا الحديث يعلمنا النبي ﷺ أن نلجأ إلى الله تبارك وتعالى، وإلى علم الله المحيط بما كان وما سيكون، وبما هو كائن إلى يوم القيامة؛ أن نلجأ إليه في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ، وأن نلجأ إلى علمه تبارك وتعالى، ونفوِّض الأمر إليه.

في هذا تربية عظيمة للمسلم، أن يستشعر دائماً وهو يستخير الله تبارك وتعالى، في كل أمر، ولو بعد كل نافلة استخرت الله في أمر، وأنت كل يوم تحتاج إلى استخارة، بل في كل يوم تحتاج إلى الاستخارة مرات ومرات، فعندما تستخير؛ تستشعر علمك الصغير، وتتأكد وتعترف بأن علمك لا شيء مع علم الله تبارك وتعالى، فإن فعلت ذلك عَلَّمَكَ الله من علمه، ونور بصيرتك، وهداك إلى العمل الصواب، وإلى التصرف الصحيح، وإلى الحياة السعيدة، وجنبك وأبعدك عمَّا هو شرٌ وضلالٌ وفسادٌ وخسارةٌ في الدنيا والآخرة.



(١) رواه البخاري (٦٣٨٢).

قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

قول الحق ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وهذه الآية إنما سميت بآية الكرسي، وما ذاك إلا لأن من أعظم ما ذكر فيها شأن الكرسي؛ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال: الكرسي هو موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره.

وقال السُّدِّي رحمه الله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه. سبحانه وتعالى.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن السماوات السبع، والأرضين السبع، بُسِطْن ثم وُصِلنَ بعضهنَّ إلى بعض، ما كنَّ في سَعَةِ الكرسيِّ إلا بمنزلة الحَلْقَةِ في المفازة [1]. أي: في صحراء.

---

(١) أورد الإمام ابن جرير الطبري هذه الآثار المتقدمة في «تفسيره» (٤/ ٥٣٨).

ما أجلَّ الله؟! وما أعظم الله تبارك وتعالى؟! وما أكبر جهلنا؟! وما أكثر تقصيرنا؟! وما أعظم غفلتنا عن رب السماوات والأرضين؟!.

وعن الحسن البصري - رحمه الله - أنه كان يقول: الكرسي هو العرش.

قال ابن كثيرٍ - رحمه الله -: (والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دَلَّتْ على ذلك الآثار والأخبار)[1].

وعن مجاهدٍ - بسندٍ صحيح - قال: (ما السماوات والأرض في الكرسي، إلا بمنزلة حلقةٍ ملقاةٍ في الأرض الفلاة)[2].

إذا رميت حلقة في فلاة، هل يراها أحد؟! أو هل تشعر بها في تلك الصحراء المترامية الأطراف من كل جانب، الساكنة الهادئة؟! هل تشعر بتلك الحلقة؟! فما هذه السماوات والأرض على عظمها بالنسبة للكرسي إلا كحلقة ملقاةٍ في صحراء!!.

علماء الفلك يذكرون أن عدد النجوم في مجرةٍ واحدةٍ فيها الشمس والقمر والزهرة وزحل والمريخ وغيرها من الكواكب - مجرة واحدة - فيها أكثر من مائة ألف مليون نجم؛ هذا كلام علماء الفلك الذين يدرسون ويحسبون، بحساباتهم. يقدرون هذه التقديرات؛ مائة ألف مليون نجم، وهناك أكثر من مائة ألف مجرة، وهذا كله في السماء الدنيا، فكيف ببقية السموات.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٦٢٦).

(٢) «الأسماء والصفات» للبيهقي، (٢/ ٣٠١، ٣٠٢)، وقال محققه : «صحيحٌ عن مجاهد».

لما نزل قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال أصحابُ النبي ﷺ: يا رسول الله، هذا الكرسي وسع السماوات والأرضَ، فكيف العرشُ ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [1].

لا يستطيع أي إنسان أن يعرف حجم عرش الرحمن تبارك وتعالى، إذا كانت السماوات السبع مطويات بيمينه، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة؛ فكيف سيكون العرش ؟!، سبحانه وتعالى عما يشركون.

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، ثم ما بين كل سماءَينِ مسيرة خمسمائة عام، وغلظ كل سماءٍ مسيرة خمسمائة عام، ثم ما بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام، والكرسي فوق الماء، والله تعالى فوق العرش، ولا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم)[2]؛ سبحانه وتعالى عما يشركون.

واستواؤه ﷻ استواء معلوم، ولكن الكيف مجهول، فهو استواء كما يليق بجلاله تبارك وتعالى وعظمته وكبريائه.

وعن مجاهد أنه قال في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ - في موسى عليه السلام - قال: (بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، حجاب

---

(١) أورده ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٩)، والآية من سورة الزمر: آية [٦٧].

(٢) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٢٩١، ٢٩٢) ط. السوادي، وقال محققه: «إسناده حسن».

نور، وحجاب ظلمة، وحجاب نور، وحجاب ظلمة، فما زال يُقرِّب موسى حتى كان بينه وبينه - أي: بينه وبين الله - حجاب واحد، وسمع صرير القلم، قال: رب أرني أنظر إليك)[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أُذن لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكة الله تعالى، من حملة العرش: أنَّ ما بين شحمة أُذِنه إلى عاتقه، مسيرة سبعمائة عام)**[2].

عظمةٌ وقدرة إلهية؛ سبحانه وتعالى، ولذلك كانت هذه الآية أعظم آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى، لاشتمالها على هذه الآيات والمخلوقات.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ، فإنه أوسطُ الجنة، وأعلى الجنةِ، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة)**[3] نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى بفضله وكرمه وَمنِّه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي)**[4].

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٢٩٤) وقال محققه: «إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات».

(٢) رواه ابو داود (٤٧٢٧) في السنة، وقال محقق «جامع الاصول» (٤/ ١٩): «إسناده حسن».

(٣) رواه البخاري (٧٤٢٣).

(٤) رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] كما ذكرت الآية كل شيء؛ فرحمة الله واسعة، سبحانه وتعالى يرحم بها من يشاء من عباده، والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

وفي الحديث الحسن عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (**أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام والنبي ﷺ وهو على يمين العرش**)[2].

وفي الحديث الحسن لما قَدِمَ جعفرُ بنُ أبي طالب من أرض الحبشة قال له رسول الله ﷺ: (**ما أعجب شيءٍ رأيته هناك؟**) قال: رأيت امرأةً على رأسها مكتل من طعام، فمرَّ بها فارس، فإذا به يلقي ذلك الطعام من على رأسها، فقعدت تجمع الطعام ثم التفتت فقالت: يا ويلك يوم يضع المِلك الكرسي يوم القيامة - يوم يضع المِلك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم يوم القيامة؛ فوضع الكرسي إذنٌ بالحساب والجزاء من الله تبارك وتعالى؛ الديان الملك ﷻ - ثم قال عليه الصلاة والسلام: تصديقاً لهذه المرأة التي أُوذيت من ذلك المتجبر المتكبر؛ قال ﷺ: (**لا قُدِّسَتْ أمةٌ**) لا عظم شأنها، ولا عظم أهلها، ولا رفع من كلمتها (**لا قُدِّسَتْ أمة**

---

(١) سورة الأعراف: آية [١٥٦].

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٠) عن علي ﷺ، بلفظ: (**أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ قُبْطِيَّتَيْنِ، وَالنَّبِيُّ حُلَّةً حِبَرَةً وَهُوَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ**).

– أو: **كيف تقدس أمة – لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها وهو غير متعتع**)[1] يعني: أن الأمة تعيسة ما دام أن الضعيف يأخذ حقه بالمشقة وبالكلفة وبالتعب، لا قدست هذه الأمة، ولا عظمت، ولا بوركت، والعياذ بالله ﷻ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ ليتعظ الظالم المتكبر المتجبر، فيعلم أن رب العزة والجلال تبارك وتعالى سيحكم بين العباد يوم القيامة؛ الذي وسع كرسيه السماوات والأرض.

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: كان يدعو عند الكرب ويقول: (**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا اله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**)[2]، كان يدعو بهذا الدعاء فيسأل الله تبارك وتعالى بصفته العظيمة، صلوات ربي وسلامه عليه.

ومن تلك الأدعية الدعاء الذي قاله ذلك المكروب، الذي جاءه ذاك اللص في سفر، فأراد أن يأخذ ماله وأن يقتله، فصلى لله ركعتين، ثم دعا بهذا الدعاء: (يا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٣٤)، والبزار في مسنده «البحر الزخار» (٤٤٦٤) وقال الطبراني عقبه: «لم يرو هذا الحديث عن عطاء بن السائب إلا منصور بن أبي الأسود، وعمرو بن أبي قيس»، وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم رواه، عن عطاء بن السائب إلا منصور بن أبي الأسود، ولا نعلم له عن بريدة طريقاً غير هذا الطريق».

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، ونورك الذي ملأ أركان عرشك، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني) فأغاثه الله تبارك وتعالى، وأرسل له ملكاً قضى على ذلك اللص، كما جاء في تلك القصة المشهورة.

فترى أن الأدعية التي تكون في الكرب وفي الشدة، وعند ظلم الظالمين، وبغي البغاة والمتجبرين والمتغطرسين والمتكبرين، يدعو فيها المسلم بهذه الصفات العظيمة، ويسأل رب العزة والجلال، ورب العرش، ورب الكرسي، فينصره الله تبارك وتعالى.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فهل نتعظ، وهل نعرف لله ﷻ حقه وقدره، فنعظم قدر الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[1].



(١) سورة الحج: آية [٣٢].

قوله تعالى:

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ يعود الضمير على السماوات والأرض الواردة قبلها مباشرة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وتقدم قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما الصحيح: أن السماوات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقةٍ في فلاةٍ. يعني في صحراء؛ كحلقةٍ صغيرةٍ في صحراءَ مترامية الأطراف.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: ولا يشق عليه ولا يثقله)[1].

فبعد أن بَيَّنَ عظم وسعة ملكه، بَيَّنَ أن ذلك لا يثقله ولا يشق عليه أن يحفظه، وأن يعلمه، وأن يتصرف فيه كما يشاء سبحانه وتعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وغيرهم: يعني لا يَثْقُلُ عليه، ولا يُجهِدُه حفظهما، فهو ميسور سهل عليه.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ رحمه الله: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله حفظ السماوات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما، بل كل ذلك سهل عليه، يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، - ليس على السماوات والأرض فحسب، بل

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٤٢).

على كل نفس بما كسبت -، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعةٌ ذليلةٌ صغيرةٌ بالنسبة إليه سبحانه وتعالى)[1].

والآيات التي تذكر الحفظ كثيرة، منها:

آيات ذكرت لنا حفظ الله تبارك وتعالى؛ كقوله ﷻ: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾[2] يعني: السماوات تولَّى حفظها سبحانه وتعالى بنفسه، فحفظها من كل شيطانٍ رجيم.

وقال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[3] فهو خير الحافظين، وأرحم الحافظين، سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء الذي دعاه يعقوب لابنه يوسف وبنيامين لما سافرا، فدعا الله ﷻ بهذا الدعاء، فتولَّى الله حفظهما رغم المخاطر التي تعرضا لها؛ قال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ، ولا بأس للمسلم إذا أراد أن يحفظ شيئاً أن يقول هذا الدعاء.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[4] تكفَّل الله بحفظ كتابه العظيم، وتولَّى ذلك بنفسه، فإذا تولَّى حفظ السماوات والأرض، فحفظهما

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٢٦).

(٢) سورة الحجر: آية [١٧].

(٣) سورة يوسف: آية [٦٤].

(٤) سورة الحجر: آية [٩].

ومن فيهما وما بينهما، أَيُعْجِزُهُ حفظُ كتابه الكريم سبحانه وتعالى ؟! وكم حاول أعداء المسلمين على مَرِّ الأزمنة، وعلى مَرِّ الدهور - ألف وأربعمائة سنة وهم يحاولون - أن يُغَيِّروا في هذا الكتاب، حتى حاولوا في سنةٍ من السنين فَغيَّروا حرفاً واحداً في المصحف كله، فوزعوه في بعض بلاد المسلمين البعيدة، وإذا بحفظة القرآن يخرجون تلك النسخ ويقولون: الناقص حرف واحد، وتتلف كل تلك النسخ؛ فليطمئن المسلم مهما سمع من محاولات لتحريف كتاب الله تعالى !، فهي عبث، وهي كمن يثير الغبار على الشمس، فيأتي الغبار عليه وتبقى الشمس في رابعة النهار مضيئة جلية، فلا يقلق المسلم ولا يضجر؛ لأن الله القادر العظيم يقول: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

ومن آياته في الحفظ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾[3].

وكذلك الملائكة؛ والملائكة يحفظون مَن أراد الله حفظه بأمره سبحانه وتعالى؛ وهم حفظةٌ كما قال ﷻ: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤﴾[4]؛ مَلَكٌ يحفظها

---

(١) سورة الحجر: آية [٩].

(٢) سورة هود: آية [٥٧].

(٣) سورة سبأ: آية [٢١].

(٤) سورة الطارق: آية [٤].

بأمر الله تبارك وتعالى، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾[3].

وكذلك كتابنا؛ هذا الكتاب العظيم؛ كتابٌ محفوظ؛ قال ﷻ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[5].

والحفيظ من المؤمنين، هو المحافظُ على أمر الله، والحافظ لذنوبه ليتوب منها، والحافظ لحدود الله فلا يتعدَّاها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[8] فميَّز الصلاة لأنها رأس الإسلام.

---

(١) سورة الانفطار: الآيات [١٠ - ١١].

(٢) سورة الأنعام: آية [٦١].

(٣) سورة الرعد: آية [١١].

(٤) سورة ق: آية [٤].

(٥) سورة البروج: آية [٢١ - ٢٢].

(٦) سورة التوبة: آية [١١٢].

(٧) سورة ق: آية [٣٢].

(٨) سورة المعارج: آية [٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾[1] فميَّز حفظ الفروج لما فيه من حفظ النسل.

وقال تبارك وتعالى في علاقة المرأة بزوجها: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[2] فكل هذه أمور مهمة، فلذلك أمر الله تبارك وتعالى عباده أن يكونوا من الحافظين المحافظين.

وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلفَ النبي ﷺ يوماً فقال: (**يا غلام! إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك** - وفي رواية: تجده أمامك - **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجَفَّتِ الصحف**)[3].

هذا نبيُّنا ﷺ يربي الشخصية المسلمة المؤمنة، التي لا تسجد ولا تركع إلا لله، العزيزة بدين الله تبارك وتعالى؛ (**احفظ الله يحفظك**) ما معنى ذلك؟ قال الحافظ بن رجب رحمه الله: («**احفظ الله**» يعني: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره،

---

(١) سورة المؤمنون: آية [٥].

(٢) سورة النساء: آية [٣٤].

(٣) رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦).

ونواهيه؛ وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا يتجاوزُ ما أمر به)[1]. فكل ذلك من الحفظ.

وقال أيضاً رحمه الله: (وحفظ الله تبارك وتعالى لعبده يدخل فيه نوعان: الأول: حفظه تبارك وتعالى له في مصالح دنياه؛ كحفظه في بدنه وماله وولده وأهله، هذا حفظ دنيوي، قال الله ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[2] أي: يحفظونه بأمر الله، قال ابن عباس ﷺ في معنى هذه الآية: هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدرُهُ خَلَّوا عنه[3].

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يصبح: **(اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)**[4].

وكان بعض العلماء قد جاوز المائة وهو متمتعٌ بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبةً شديدةً، فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله تبارك وتعالى في الكبر.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» ص (٤٦٢) ط. الرسالة.

(٢) سورة الرعد: آية [١١].

(٣) «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٥٨).

(٤) رواه أحمد (٢ / ٢٥)، وأبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٨ / ٢٨٢).

وقد يحفظ الله تبارك وتعالى العبدَ بصلاحه بعد موته في ذريته، قال ابن المنكدر - رحمه الله - : إنَّ الله ليحفظ بالرجل الصالح ولدَه وولدَ ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظٍ من الله وستر.

وكان ابن المسيب - رحمه الله - يزيد في صلاته ويقول لابنه: لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك، رجاء أن أُحْفَظَ فيك، ثم تلا هذه الآية:﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[1].

ومن عجيب حفظ الله تبارك وتعالى لمن حفظه، أن الله ﷻ يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظةً له من الأذى، كما جرى لِسَفينةَ ﷺ، مولى النبي ﷺ حيث كُسِرَ به المركبُ في البحر، فخرج إلى جزيرةٍ، فرأى أسداً، فجعل ذلك الأسد يمشي معه حتى دلَّه على الطريق، فلما أوقفه عليه، جعل يُهَمْهِمُ كأنه يُوَدِّعُهُ ثم رجع عنه.

والنوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله ﷻ للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

قال بعض السلف: إذا حضر الرجل الموت يُقال للمَلَك: شمَّ رأسه؟، قال: أجد في رأسه القرآن، فيقول: شم قلبه؟، قال: أجد في قلبه الصيام. قال: شم قدميه؟، قال: أجد في قدميه القيام. فيقول: حفظ نفسه فحفظه الله.

---

(١) سورة الكهف: آية [٨٢].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ، في دعاء النوم الذي كان يقول فيه النبي ﷺ: **(باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)**[1].

ومن دعائه ﷺ: **(اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُطِعْ فيَّ عدواً ولا حاسداً)**[2] وفي الجملة فإن الله ﷻ يحفظ على المؤمن الحافظ لحدوده دينه، ويحول بينه وبين ما يُفسد عليه دينه بأنواعٍ من الحفظ)[3].

وفي قصة الشيطان مع أبي هريرة ﷺ في صحيح البخاري، والتي قال فيها الشيطان لأبي هريرة: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ**﴾ حتى تختمها فإنك لن يزال عليك من الله حافظ؛ هذا حافظ إضافي ببركة قراءة آية الكرسي، وكيف لا وفيها الكلمات العظيمات ﴿**وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ**﴾

قال: (فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح)[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه ابن حبان (٩٣٤) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) «جامع العلوم والحكم» ص (٤٦٥ – ٤٦٩) بتصرف.

(٤) رواه البخاري (٢٣١١).

قال ابن كثير - رحمه الله - في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ قال: (هي كقوله تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[1]، وهذه الآيات وما فيها من الأحاديث الصحاح؛ الأجودُ فيها طريقة السلف: إمرارُها كما جاءت، من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ)[2]؛ كما قال ذلك الإمام مالك - رحمه الله - لما سئل عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

فنؤمن بها من غير تمثيلٍ ولا تكييفٍ، ولا تشبيه ولا تعطيل، ونقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[3] سبحانه وتعالى.

وهذه هي آية الكرسي، فما أحرانا أن نحافظ عليها. عند النوم، لأن النوم وهو الموتة الصغرى، وأن نحافظ عليها بعد الفروض لأننا سنلقى الله تبارك وتعالى ولا بد بعد فرضٍ من الفروض، فلتكن خاتمتنا بقراءة هذه الآية التي قال عنها النبي ﷺ: **(من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت)**[4].

---

(١) سورة الرعد: آية [٩].

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٢٧).

(٣) سورة الشورى: آية [١١].

(٤) تقدم تخريجه ص (٩).



هذا ما يسَّر الله لنا بيانه من معاني هذه الآية العظيمة المباركة

(آية الكرسي)

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس

المقدمة..... ٥

فضل آية الكرسي ٧

فضل كلمة التوحيد..... ١٤

شهادة أن لا إله إلا الله..... ٢١

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ ٢٨

قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ ٣٦

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ٤٢

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾..... ٥٠

قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ ٦١

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ ٧٠

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ٧٧

فهرس ٨٧

صدر للمؤلف

- الموسوعة الجامعة في الخطب النافعة (٤ مجلدات).
- الخطب الأندلسية.
- خطب وطنية .
- ومضات في تزكية النفس .
- الخشوع المفقود .
- تأملات في سورة الفاتحة .
- تأملات في فواتح سورة البقرة .
- تأملات في آية الكرسي .
- عبر ودلالات في سورة يوسف .
- لمحات من سيرة الصديق .
- اليوم الآخر ، مشاهد وتأملات .
- إضاءات حول تدبر القرآن .
- الإمام الرافعي ، عالم العرب والعجم .
- التجويد الميسر .
- الرحمة المهداة ﷺ ، محبته ونصرته .
- رمضان ، فضائل وأحداث .
- علامات الساعة الصغرى والكبرى .
- وقفات حول موسم الحج .
- تأملات في سورة الزلزلة.
- آداب قيادة السيارة.
- المباحث المرضية في المسائل الفرضية.
- عبر ودلالات من أحداث السيرة النبوية (العهد المكي)
- تأملات في سورة الكهف.